الأخت
كليمنص حلو
باحثة في
الكتاب المقدّس

إيمـــان ليديـــا
أع ١٦: ١١-١٥ و٤٠

مقدّمة

أوّل صورة تتبادر إلى ذهننا في أعمال الرسل هي جماعة مريم والنساء والرسل والتلاميذ في العليّة بعد صعود الربّ. ما يجمعهم هو الصلاة العميقة، "بقلب واحد"، انتظارًا لبداية جديدة، عنصرة جديدة، تولد فيها الكنيسة. الصلاة الإيمانيّة هي خبرة للقاء الربّ، خبرة تفوق المفهوم العقليّ، والممارسات العادية والإيمان السطحيّ. إنّها انبثاق حبّ عميق وتفاعل أخويّ مع الجماعة لا مجرد عاطفة عابرة. ولقد شبّه علماء الكتاب المقدّس والآباء هذه العلاقة الحميمة بالتصاق الأغصان بالكرمة والتفاعل الحيويّ بينهما. هكذا فهمها التلاميذ الأوّل الذين تفجرّت خدمتهم لله إعلانًا عن قدرته في حياتهم وشهادة لروح يسوع بين البشر وفي كلّ مكان يحتاج إلى الشفاء وإلى تغيير الحياة.

١- هذه الجماعة الأولى استباق لإيمان ليديا التي انفتح قلبها للإصغاء (أع ١٦: ١١-١٥)

ليديا تلميذة بولس الرسول. كانت له أحد الأعمدة الداعمة في حمل البشارة إسوة بأخواتها في الإيمان. في رحلته الرسوليّة الثانية التقى بها في فيلبي، وهي كبرى مدن مقاطعة مكدونيا وأخبر قصّتها كحدث غير اعتياديّ. واستخدام ضمير المتكلّمين هنا معناه أنّ لوقا كاتب إنجيل لوقا وأعمال الرسل قد انضمّ إلى بولس وسيلا وتيموتاوس في رحلته التبشيريّة هذه. وقد كان لوقا شاهد عيّان على معظم الأحداث المذكورة في الجزء الباقي من سفر الأعمال.

ذهب بولس إلى مكدونية بناء على دعوة في رؤيا في ترواس، من رجل مكدونيّ يتوسّل

إليه ويقول: "اعبر إلى مكدونيا وأنجدنا!". قد يكون هذا الرجل لوقا بالذات. فأوّل مَن التقى بولس هناك جماعة من النساء وعلى رأسهن ليديا في مكان صلاة، يوم السبت، خارج باب المدينة على ضفة نهر (١٦: ١٣).

هذا اللقاء للصلاة خارج المدينة قد يكون سببه عدم وجود هيكل في المدينة، وعلى الأخص لأنّه كان مكتوبًا على بوابات المدينة في فيليبي إنّه محظور إدخال أي عبادة إليها من العبادات غير المعترف بها. أو نظرًا لحاجة اليهود إلى التطهير للعماد من الماء أو على مثال عماد يوحنّا المعمدان الذي كان فرصة للتوبة. وقد أُعلنت خلاله هويّة يسوع وتجلّى حضور الله. ليديا ورفيقاتها هن من "خائفيّ الله" الذين يمارسون شعائر اليهود دون أن يصبحوا يهودًا.

والجماعة من النساء التي التقاها بولس كانت جماعة على طريق الربّ، وقد تلقنت بعض الأسس الدينيّة اليهوديّة التي تهيئوها لتقبّل التعاليم المسيحيّة، مثل كورنيليوس "خائف الله" الذي أصغى إلى كلام بطرس "فنزل الروح القدس على جميع الذين يسمعون كلامه" في عنصرة جديدة حتّى على الذين هم يهود (فل ١٠: ٤٤).

٢- مَن هي ليديا التي اهتدت إلى الربّ يسوع وحملت كلمة البشارة كالرسل؟

بكلمات مقتضبة تخبر القصّة مسيرتها. ليديا **تاجرة أرجوان ذات نفوذ.** ولدت في **ليديا** (تركيا) حيث اتخذت اسمها. وهي من مدينة **تياتيرة** المشهورة بصباغ الأرجوان. به **تاجرت في فيليبي** وهو من الأقمشة **النفيسة والثمينة** التي تلبس كعلامة النبل والأَصالة والنسب الملوكيّ.

أ . **كيف اختبرت ليديا الإيمان؟** لقد مرّت بثلاث محطّات رئيسيّة:

- **ألعطش** إلى ما يشبع قلبها ولقاء عطشها بغيرة بولس.عطَشان يتكاملان.

- **الانجذاب** نحوه بالإصغاء لكلامه وتلقفه بلهفة.

- **انفتاح قلبها** وتحوّل كيانها بهذا الانفتاح.

هداية ليديا كانت **نتيجة لقائها مع كلمة الله** كأنّها يسوع المتجسّد بالذات. إنّ قدرة الإنجيل **سرّ** يفوق إدراكنا. إنّه **رهن إصغائنا.** تقول الرؤيا: "مَن له أذنان فليسمع ما يقوله الروح". و**الإصغاء** أساسه الشوق العميق والتحضير الذاتي ليس فقط بالممارسات السطحية **بلّ بالمثابرة على الصلاة والتفتيش عن إرادة الربّ** في حياتنا والتثقيف الروحيّ المتواصل. ولا نعرف متى يهبّ الروح من صوبنا ونسمع أو نقرأ كلمات **كالمفتاح** تفتح قلوبنا. **والقلب** هو كلّ ما فينا. يستيقظ في صعقة، "شبقة هوى"، كالحبّ الأوّل يحوّل كلّ ما فينا يغيّره. يصّفيَه مع الوقت والمثابرة.

ب . ما هي نتيجة هذا التحوّل؟

"تعمدّت ليديا وأهل بيتها". وهذا العماد هو **العلامة الحسّيّة للدخول في سرّ الإيمان.**

لقد **أسّست** ليديا أوّل كنيسة بيتيّة في فيليبي، مع عائلتها، ومع جماعة النساء رفيقاتها اللواتي وعَين شوقهن إلى الإيمان المسيحيّ الذي يكمل مسيرتهن بالإنصات إلى كلمة الله. هذا "الوعي" هو **خبرة إيمانيّة يحدثها الروح القدس في القلوب** بانتظار الاتحاد الكامل مع الله. هذا "**الإنصات**" يتكرّر مرتين في قصّة ليديا لأنّه أعمق من السماع الخارجيّ. إنّه "وعي" للذات وانفتاح على حاجات من حولنا.

النتيجة الحتميّة بعد الدخول في سرّ الإيمان والعماد هي **تخطّي الحذر** في مبادرة المرسلين الغرباء بالاستضافة. "قالت لنا **راجية: ادخلوا** إلى بيتي و**أقيموا** فيه إذا كنتم تحسبوني مؤمنة بالربّ. **فأجبرتنا** على قبول دعوتها".

إنّ إيمان ليديا **قوّاه العماد وكلمة بولس الناريّة**. فتجرّأت حالاً أن تترجمه إلى العمل، قولاً وفعلاً. **ما أن فُتح قلبها بالإيمان حتّى فُتح بيتها** أيضًا التزامًا بالمسيح وبإنجيله.

هذه الأمثولة تقول لنا الكثير في عالمنا الممزّق المهدّد والهزيل، المدعو إلى الدعاء والتوبة أينما كان، أسوة **بمعبد ليديا على شاطيء النهر**، في ملء الطبيعة. فإنّ الكون أيضًا يُصلّي.

كلّها **مقدّسات كونيّة** في كلّ زمان ومكان تنمو وتتقوى بصلواتنا وبالغذاء بكلمة الله. فيها تُصنع الآيات إنّ مفعول كلمة الله في ليديا وحضور الربّ لها أعطياها **الجرأة** بل "الترجي" في دعوة المرسلين إلى بيتها **بإلحاح** بل "**أجبرتهم** على قبول دعوتها". هذه الكلمات **تذكّرنا بتوجيه المسيح إلى التلاميذ الأثنين والسبعين** الذين وجهّهم إلى الرسالة: "وأيَ بيتٍ دخلتم فقولوا أوّلاً **السلام على هذا البيت... وأقيموا** في ذلك البيت تأكلون وتشربون ممّا عندهم" (لو ١٠). هكذا أصبح بيت ليديا منطلق الرسالة في فيليبي كما البيت في رسالة التلاميذ. هذه الدعوة وجّهها تلميذا عمّاوس إلى يسوع: "أمكث معنا يا ربّ" بعد تعب النهار وحلول المساء و"**دخل**" يسوع إلى بيتهما و**مكث معهما**. هذه الضيافة الإفخارستيّة هي ذاتها.

ج . وهذه الضيافة استمرّت

لقد أصبح بيت ليديا ملجأً للرسل وللتلاميذ في الصعوبات. فلمّا خرج بولس وسيلا من السجن في فيليبي "**ذهبا إلى بيت ليديا** فشاهدا الأخوة وشجعاهم ثمّ إنصرفا (أع ١٦: ١٤). هذا البيت أصبح كنيسة فيليبي، أوّل كنيسة في أوروبا. ويذكرها بولس بعطاءاتها في الرسالة إلى أهل فيليبي: "ما من كنيسة منذ بدء عملي التبشيريّ شاركتني في حساب الأخذ والعطاء إلاّ أنتم وحدكم... كلّ عطاياكم هي تقدمة **لله طيبة الرائحة وذبيحة يقبلها ويرضى عنها**" (فل ٤: ١٥-١٨).

لم نعد بعده نعرف شيئًا عن ليديا. لكن تأسيس الكنيسة في فيليبي ونموها وتقدمها تكفي لتشهد عن عمق إيمانها ورسوخه والتزامها بحمل رسالة المسيح. إنّ إيمان ليديا وجماعتها الإيمانيّة **تعطينا الرجاء بكلمة الله صانعة العجائب**. فكلّ مرّة نصغي إلى هذه الكلمة في أعماقِنا **تغيّر** التزامنا العماديّ **وتجدّده** فنصبح **نواة حيّة** في بيوتنا ومحيطنا ورعايانا.

ونكتشف كلّ يوم أكثر من يوم **جوهر** دعوتنا الإنسانيّة والرسوليّة في عالم يتخبّط في مشاكله. كم من فقير بحاجة إلى الماديّ والروحيّ، كم من مهمّش قربنا وفي محيطنا يحتاج إلى لفتتنا وقلوبِنا المفتوحة التي "ترى" كما في مثل السامريّ الصالح **وتمدّ يدها** للمساعدة والعطاء.

خاتمة

قصّة ليديا هي أمثولة لنا. كمؤمنين نحن مدعوون أن نكون **شهودًا** في عالم اليوم. نكون أصحاب قضيّة. دعوتنا أن **نعي حضور الله في كلمته** وفي كلّ **أحداث حياتنا وحياة الآخرين** وحتّى **الخليقة كلّها**. هذه الخبرة تبتدئ من **عائلاتنا**. فالجماعة المسيحيّة الأولى هي التي **بحرارة اجتماعها المصلّيّ** استدعت حلول الروح القدس في العنصرة الذي غيّر وجه الأرض. إنّه أعطى المرسلات والمرسلين **الجرأة** ليحملوا كلمة الله إلى كلّ الأرض. ونحن علينا أن **نقتدي بهم** فلتكن قصّة ليديا **بداية عنصرة جديدة في حياتنا**، دون أن ندع أحدًا **يستهين بنا كرجال ولا كنساء**.

نحن رسل اليوم على مثال بولس والمرسلين في عالم **انقسام وعنف واستغلال وقلة إيمان**. والنساء بيننا هنّ كالمحركات في اللولب، على مثال العذراء يمكنهن أن يصنعن الآيات ليس فقط بالضيافة في بيوتهن بل في **عيونهن وقلوبهن**. إنّهن **كحاملات الطيب** يحملن كلمة الحياة إلى العالم ومعها كلمة الله بيننا.